Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 35:3 (2000)

أهمية تدريس الدراسات الإسلامية باللغة العربية دون سواها

عبدالرؤوف مفضي خرابشة

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

فقد أرسل الله رسوله بالهدى،ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون،وأنزل عليه﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ (١) ففتح به قلوباً غلفاً، وأعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾(٢).

فهو مادة الإسلام الأولى،ومعينه الأصيل،(لا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه) (٣).﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْأَمِيْنُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنذِرِيْنَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ﴾(٤).

فالقرآن الكريم نزل بلسان عربيٍّ مبين، وجاء بأساليبه ونظمه البديع، وبلاغته العظيمة، حيث أعجز أقحاح العرب عن محاكاته، أو مضاهاته، فكان حقاً على من أراد تفهّم معانيه، وإدراك مراميه، أن

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

يكون على جانب كبير من التمكن من اللغة العربية، وإلاّ لا يقـــدر على شيء من ذلك[٥] . ففاقد الشيء لا يعطيه.

ومعلوم قول شيخ الإسلام ابن تيمية:"والعلم، إما نقلٌ مصـدقٌ عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم، وما سوى هذا فإما مزيـف مردود، وإما موقوف،لا يعلم أنه بهرج ولا منقود"[٦]، والقرآن الكريم نقل مصدق عن معصوم، ودليل لقول الحق معلوم، ولكن كيف يفـهم هذا؟ وبأيّ لسان يعلم؟ إنه اللسان العربي، واللغة التي وسعته، وقـــد استنطقها حافظ إبراهيم قائلة:

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً

وما ضقت عن آيٍ به وعظات

فما دامت اللغة العربية قد وسعت كتاب الله، بأعلى درجـات الفصاحة، والبلاغة، حتى أعجز أهل اللسان، فيثبت ضرورة ألا يفهمه إلا من يعرف العربية معرفة تمكنه من فهم دقائق معانيه[٧]. ومـــا دام القرآن الكريم هو مادة الإسلام الأولى، ومعينه الذي لا ينضب، نعلـم ضرورة أهمية هذه اللغة في علوم الإسلام، حتى لا نخرج عن الخـــط الذي رسمه القرآن،والغاية التي يهدف إليها،وبيان ذلك من خلال إطار عام هو: أهمية تدريس الدراسات الإسلامية باللغة العربية دون سواها، وخطة تتضمن النقاط التالية:

المبحث الأول: الأهمية التلازمية. وتشمل المطالب الآتية:

المطلب الأول: التلازم بين اللغة العربية والقرآن الكريم، والتلازم هنـا يتضح من خلال ثلاثة جوانب:

أ. جانب القرآن.

ب. جانب الفهم لمعاني القرآن الكريم.

ج. جانب عالمية دعوة القرآن.

المطلب الثاني: التلازم بين الدراسات الإسلامية والقرآن الكريم.

المطلب الثالث: التلازم بين اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

المبحث الثاني: الأهمية المنهجية والمعرفية.

وإيضاح ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: منهج العلماء المسلمين الأعاجم(غير العرب)في المعارف الإسلامية المختلفة.

المطلب الثاني: المنهجية التطبيقية اللغوية.

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات من خلال بيان كيفية تقليل خطأ الفهم الاجتهادي..

المبحث الأول:

الأهمية التلازمية.

وتشمل ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: التلازم بين اللغة العربية والقرآن الكريم.

حين نتحدث عن اللغة العربية نعلم أنها القالب الذي وسع القرآن الكريم، وحين نقرأ القرآن الكريم نرى أنه بمثابة الروح لهذه اللغة، فهما كالروح والجسد، إذ التلازم بينهما أمر محقق لا مفرّ منه. وبياناً لهذا التلازم، وتنسيقاً للبحث فيه، أرى أن جوانب التلازم هنا ثلاثة هي:

أ- جانب القرآن:

أثناء تلاوتنا لكتاب الله عز وجل،نجد آيات كثيرة تصف

القرآن بأنه عربي،وأنه تعالى أنزله بلسان عربي مبين،إظهاراً للغة القرآن الكريم، وتأكيدا على التلازم التام بينه وبين اللغة العربية منها:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾ (٨) .

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (٩) .

﴿ لِسَانُ الَّذِيْ يُلْحِدُوْنَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِيْنٌ﴾ (١٠) .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (١١) .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْأَمِيْنُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنذِرِيْنَ.بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ﴾ (١٢) .

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ﴾ (١٣) .

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِيْ عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ﴾ (١٤) .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾ (١٥) .

فهو قرآن، وهو عربي، لا انفكاك بين قرآنيته وعربيته، إذ لو انفكت عربيته بالترجمة لم يعد قرآنا،كما لو انفكت قرآنيته بالتفسير العربي لا يسمى قرآناً أيضاً. وما أروع ما قال أحد المعاصرين في ذلك حيث يقول:هل عرف العالم إسلاماً بلا قرآن؟ وهل عرف العالم قرآناً بغير العربية؟إن ارتباط كتاب مقدس بلغة بعينها-ارتباط القرآن باللغة العربية-أمر لم نعرفه لغير هذا الدين، ولغير تلك اللغة. وإذا كان غير القرآن من الكتب المقدسة-كالإنجيل مثلاً-قد ترجم إلى لغات كثيرة، وبقي على ما هو عليه من كونه كتابا تعبدياً مقدساً، فإن القرآن قرآن بلفظه ونصه(١٦). وهو معنى قول الرازي: في ذلك أن القرآن العربي كما أنه تطلب قراءته لمعناه، كذلك تطلب قراءته لأجل لفظه(١٧). ويضيف هذا الكاتب المعاصر، وإذا كانت لدى غير المسلمين صلوات

تتلى بغير لغة الكتاب المقدس، فإن الحكم الشرعي في الإسلام، أنه لا صلاة بغير اللفظ العربي للقرآن، ثم خلص إلى القول بأن الارتباط بين العربية والقرآن أمر واقع وفرض مقرر(١٨) .

ب - جانب الفهم لمعاني القرآن الكريم:

المعنى الحقيقي للمفهوم الإسلامي، لا يتحقق إلا على ضوء ما قرره علماء الأمة في الأصول والتفسير وغيرها، من أن المفسر والمجتهد لا بد أن يكون على علم ومعرفة بلغة العرب، إذ لا يفهم القرآن بغير تلك اللغة، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فلا يتم الفهم للقرآن إلا بالتصور الكامل لمعانيه باللسان الذي نزل فيه.

لذا نلاحظ أن علماءنا يركزون على هذا الجانب حتى لا يبعد الإنسان عن المعنى الحقيقي للمفهوم الإسلامي، أو المصطلح القرآني. فكما يقول الزركشي: "إنما يفهم بعض معانيه، ويطلع على أسراره ومبانيه من قوي نظره،واتسع مجاله في الفكر وتدبره،وامتد باعه، ورقت طباعه،وامتد في فنون الأدب،وأحاط بلغة العرب"(١٩). وأخرج أبو عبيد عن يحي بن عتيق قال: "قلت للحسن: يا أبا سعيد، الرجل يتعلّم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم قراءته بها، قال: حسن يا ابن أخي فتعلّمها، فإن الرجل يقرأ الآية، فيعْيَ بوجهها، (يعجز عن فهم المراد منها) فيهلك فيها"(٢٠) .

وقال مجاهد:"لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عارفاً بلغات العرب"(٢١) .

وروى البيهقي في الشعب عن مالك رضي الله عنه أنه قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً(٢٢).

ومنتهى الصراحة في هذا الأمر نجدها عند الشاطبي،حيث يقول: "من أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"(٢٣) . وقد اتضح ذلك على لسان محمد عبده حيث قال:"فهم كتاب الله تعالى يأتي بمعرفة ذوق اللغة، وذلك بممارسة الكلام البليغ منها" (٢٤) .

ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد،بل نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يرتفع باللغة العربية فيجعلها شعار الإسلام،ويقرر كراهة اعتياد الخطاب بغيرها،كونه يبعد عن ممارسة اللغة، مما يترتب عليه ضعف الفهم لكلام الله، فيقول: "وأما اعتياد الخطاب بغير العربية- التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن-حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله،ولأهل الدار،وللرجل مع صاحبه،ولأهل السوق،أو للأمراء، أو لأهل الديون، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه" (٢٥). ويضيف: "وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين،ومعرفتها،فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنّة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"(٢٦) .

يلاحظ أن ابن تيمية أعطى حكمين في عبارتيه السابقتين خلاصتهما أن تعلم اللغة العربية فرض واجب لفهم الكتاب والسنّة... ومن تعلمها يكره له اعتياد الخطاب بغيرها.

ج ــ جانب عالمية دعوة القرآن:

عرفنا فيما سبق كيف كان التركيز على التلازم بين عربية القرآن، وقرآنيته مما تمخض عنه تكرار الإشادة بهذا اللسان، والارتفاع به،حتى اعتبره ابن تيمية شعار الإسلام، ومع هذا نجد القرآن في

الجانب الآخر يصرح بعالمية دعوته، رفضاً للتمييز العنصري، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا ﴾(٢٧). وقال أيضاً:﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ﴾(٢٨) وهذا مما يدعو للتساؤل:هل هناك تعارض بين هذين الجانبين؟ وكيف يمكن التوفيق بينهما؟.

ما من ريب أن تنزيل القرآن باللسان العربي كان يوحي إلى العرب بكثير من الاعتزاز والفخر، كما يوحي إلى غيرهم بكثير من التوقير والتكريم لكل ما هو عربي، لساناً وبياناً، وحسباً ومحتدًا، وموقعاً ومولداً،ولاسيما حين يقرن القرآن اللسان العربي بصفة البيان،أو يقول﴿ غَيْرَ ذِيْ عِوَجٍ ﴾(٢٩) ايماءً إلى صفاء هذا اللسان(٣٠) وعالميته، إذ القرآن دعامة الوحدة بين العروبة والإسلام (٣١) .

هذا وإن استهلال بعض سور القرآن الكريم بالحروف المقطعة، يشير إلى أمرين هامين:أحدهما: بيان موطن الإعجاز في القرآن الكريم، إذ يظهر فيه جانب التحدّي لاقحاح العرب، وفرسان البلاغة والفصاحة، للإتيان بمثله، وعجزهم الواضح عن ذلك. والثاني : بيان أن هذا القرآن الذي هو عالمي الدعوة، لا يسعه إلا هذه الحروف، التي يتكون منها الكلام العربي، مما يعني أن اللغة العربية لغة عالمية، غير مقتصرة على الناطقين بها، تبعاً لعالمية دعوة القرآن.

كما أنها ضرورية لدراسة لغات، وثقافات عالمية مختلفة، كالإسبانية، والأردية، والماليزية، والإندونيسية، والتركية، والفارسية وغيرها،إذ دخلت كلمات عربية كثيرة في لغات عديدة إسلامية وغير إسلامية (٣٢) .

إضافة إلى ما ذكرناه آنفاً من كلام ابن تيمية،من وجوب تعلّم اللغة العربية بالنسبة للمسلمين جميعاً،واستناداً إلى قوله تعالى:﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوْا آيَاتِهِ**﴾(٣٣). والذي يتضمّن أمراً بتعلم اللغة العربية، لأن التدبر هو الفهم، ولا يكون إلا بمعرفة العربية، وذلك يتطلب بالطبع متابعتها ودراستها(٣٤).والتدبر مطلوب من الجميع، والفهم هدف لابد أن يحققه جميع المسلمين، فوحدة الفهم عامل مساعد لتوحيد الأمة،وهو هدف عالمي، يشير إلى عالمية اللغة العربية، يقول ابن تيمية: لم يكن سبيل إلى ضبط الدين، ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين(٣٥). وما دام الدين عالمياً فاللسان عالمي أيضاً.

وخلاصة الأمر أن مثل اللغة العربية بالنسبة للقرآن الكريم كمثل وعاء زجاجي سكب فيه ماءٌ، فكان يرى من خلاله وضوحاً وبهجة وجمالاً بحيث لو وضع في إناء غير زجاجي لاتّسم بالغموض وعدم الوضوح، والله يقول:﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ (٣٦). فبفهم اللغة العربية يزداد القرآن يسراً، ويزداد وضوحاً لمتدبّره، وبغير معرفة اللغة يبقى غامضاً ويزداد غموضاً.

المطلب الثاني: التلازم بين الدراسات الإسلامية والقرآن الكريم:

قال ابن تيمية:"ولهذا كان الذين تناولوا العلم والإيمان من أبناء فارس، إنما حصل ذلك بمتابعتهم للدين الحنيف بلوازمه من العربية وغيرها"(٣٧).

فحصول العلم والإيمان لدى هؤلاء إنما كان بمتابعتهم للدين بلوازمه العربية وغيرها، حيث كانوا يعتمدون الحديث" من يرد الله به

خيراً يفقهه في الدين"(٣٨). والدراسات الإسلامية بجوانبها المختلفة هي عنوان الفقه في الدين، بل هي فقه القرآن، حيث هو المنطلق الرئيسي للدراسات الإسلامية،وهو المادة الأولى لها، كما أنه معينها الذي لا ينضب،"فلا تزيغ به الأهواء،ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد،ولا تنقضى عجائبه"(٣٩).فالعلوم الإسلامية ما هي إلا خادمة له،بتبيين مجمله، وتوضيح غامضه ومبهمه، وشرح معناه، وبيان الأحكام المرادة للمكلف منه،وكيفية الوصول إليها،فهي لا تخرج عن معينه،بل هي من مشكاته المضيئة،وكل منها ينتهض لإيضاح القرآن، وإدراك معانيه، والوصول إلى مكنوناته، والغوص لا ستخراج لآلئه، وبيان غاياته وأهدافه.

فأصول الفقه مثلا علم يبحث من خلاله في ألفاظ القرآن والسنّة، كأدلة على الأحكام الشرعية، وكيفية دلالتها على تلك الأحكام، وكيفية التوفيق بين ما كان ظاهره التعارض بين بعض آياته، أو بين بعض آياته وبين بعض الأحاديث، ثم البحث في روحه ومعقوله، للوصول إلى ما لم يرد فيه نص يبين حكمه.

أما البحث في الفقه فهو بحث لمعرفة الأحكام الشرعية المرادة من المكلف على ضوء الدليل الشرعي التفصيلي، وأساس ذلك هو القرآن الكريم.

وأما البحث في العقيدة والكلام فهو بحث في أصول العقيدة التي قررها الله وأوجب علينا الإيمان بها من خلال كتابه.

كما أن البحث في علوم القرآن بحث فيما يتعلق بالقرآن نزولاً وجمعا وترتيبا وتلاوة وغير ذلك مما يبحث فيه في هذا العلم.

والتفسير يتعلق بمعاني القرآن الكريم، وفهم آياته، وإيضاح ما يتطلبه العمل بها، "فمن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم"(٤٠) . ناهيك عن السنّة وعلومها فإن البحث فيها لا يخرج عن البحث في القرآن الكريم، إذ السنّة مبيّنة وشارحة له، قال تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ (٤١). ولا تعدو السنّة أن تكون متضمنة في آية واحدة من بحره الزاخر وهي قوله تعالى:﴿ **وَمَآ آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا**﴾(٤٢) .

وعلوم السنّة المتكاثرة من علم مصطلح الحديث إلى علم الرجال إلى علم الجرح والتعديل إلى غير ذلك مما يبحث تحت علوم السنّة، هي وسائل للوصول إلى معرفة صحيح السنّة من سقيمها، وما كان منها حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يكن.

فالقرآن الكريم هو المصدر الأصلي للشريعة، وهو المادة الأولى والأساس للدراسات الإسلامية،وما العلوم الإسلامية إلا خادمة للقرآن الكريم. يقول الشاطبي:"إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة،وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، نور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه. وهذا لا يحتاج إلى تقرير واستدلال، لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك،لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة،وطمع في إدراك مقاصدها،واللّحاق بأهلها،أن يتخذه سميره وأنيسه،ويجعله جليسه على مرّ الأيام والليالي، نظراً وعملاً، لا اقتصاراً على أحدهما" (٤٣).

المطلب الثالث: التلازم بين اللغة العربية والدراسات الإسلامية:

فيما سبق تبيّن لنا مدى التلازم بين اللغة العربية والقرآن الكريم وأن مثلها كمثل الروح والجسد، وعرفنا أنه لا انفكاك بين قرآنية القرآن وعربيته، حتى كانت العربية شعار الإسلام وأهله، الذي قرره ابن تيمية في أكثر من موطن(٤٤) .

واتضح لنا أيضاً مدى التلازم بين القرآن الكريم من جانب، والدراسات الإسلامية من جانب آخر، فكانت النتيجة التي تثبت أن العلوم الإسلامية، ما هي إلا خادمة للقرآن الكريم.

وبناءاً عليه، يتضح لنا أن التلازم مادام فرضا مقررا بين القرآن واللغة العربية،وبين القرآن والدراسات الإسلامية، فالنتيجة الحتمية هي: أن التلازم بين اللغة العربية والدراسات الإسلامية أمر مقرر أيضا.

وهو ما يعنيه قول عمر رضي الله عنه حين كتب إلى أبي موسى الأشعري:"أما بعد، فتفقّهوا في السنّة وتفقّهوا في العربية، وأعربوا القرآن، فإنه عربي"، وفي حديث عنه رضي الله عنه:"تعلموا العربية فإنها من دينكم،وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم"قال ابن تيمية تعقيباً على هذين الحديثين: وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه، من فقه العربية، وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه، لأن الدين فيه أقوال وأعمال،ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنّة هو الطريق إلى فقه أعماله(٤٥). ومنه ما قرره سابقاً من أن الذين تناولوا العلم من العجم من أبناء فارس إنما حصل ذلك بمتابعتهم للدين الحنيف بلوازمه من العربية وغيرها(٤٦). وليس أدلّ على ذلك من كلمة الشاطبي رحمه الله حين قال: "إن هذه الشريعة المباركة عربية لا مدخل فيها للألسن العجمية"(٤٧) .

أما ابن خلدون فقد صرّح بذلك بقوله: "الفصل السادس والثلاثون في علوم اللسان العربي، أركانه أربعة، وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة"(٤٨). والزركشي يطلب التعمق في ذلك بقوله: "ولا يكفي اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا، وهو يعلم أحد المعنيين" (٤٩).

وعليه فإننا نجد اتفاق علماء الأصول على ضرورة أن يكون المجتهد عالماً بلغة العرب، حتى يصل إلى درجة الاجتهاد فيها، بحيث يضاهي في فهمها العربي، وهو شأن علماء التفسير، وأي علم من علوم الدراسات الإسلامية.

المبحث الثاني

الأهمية المنهجية والمعرفية:

الحديث في المبحث الأول تمخّض عن نتيجة واضحة، وهي ضرورة العلم باللغة العربية لأهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية من القرآن الكريم والسنّة المطهرة، وهما بلغة العرب، ونقلتها من العرب، فكانت نتيجة نظرية.

أما هذا المبحث فأرى- والله أعلم – أنه يشبه أن يكون جانبا عملياً تطبيقياً للنتيجة السابقة، كما يشبه أن يكون نتيجة للمبحث السابق.

فهما متعاضدان، لبيان: أهمية تدريس الدراسات الإسلامية باللغة العربية دون سواها وإن نتج أحدهما عن الآخر. وسنلاحظ

خلال هذا المبحث، قيمة اللغة العربية، ومكانتها لدى العلماء المسلمين الأعاجم، وأنها الأحق بالمعرفة، من أجل فهم الكتاب الكريم والسنّة المطهرة، ونرى مسلكهم في ذلك، واعتزازهم بالانتماء إلى هذه اللغة. إضافة إلى تحقق المعرفة لمدلولات الكلام، وكيفية الوصول للمعاني، ومدى استيعاب اللغة العربية لمواد الدراسات الإسلامية، وقصور غيرها. وبيان ذلك في مطلبين:

الأول: منهج علماء المسلمين الأعاجم(غير العرب) في المعارف الإسلامية المختلفة.

الثاني: المنهجية التطبيقية اللغوية.

المطلب الأول: منهج علماء المسلمين الأعاجم(غير العرب) في المعارف الإسلامية المختلفة.

علمنا فيما سبق ضرورة اللغة العربية لأهل الشريعة، وتلازمها مع الدراسات الإسلامية، وقد علل الشافعي ذلك بقوله: وذلك أن اللسان الذي اختاره الله عز وجل لسان العرب، فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم(٥٠). وكان حملة هذه الشريعة،والكاتبون فيها في العصور الأولى من العجم. قال ابن خلدون: "من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية، أكثرهم العجم"(٥١). لكن كيف وصل أولئك لما وصلوا إليه؟

أولا: المنهج الذي أدى بهم إلى هذه النتيجة:

إنها جملة من الضوابط التي كانت في خواطرهم،فشكلت لديهم منهجا يوضح لهم طريق الوصول إلى المعارف الإسلامية المختلفة منها:

أ- علمهم بوجوب تعلم اللغة العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولغة النبي صلى الله عليه وسلم ولغة السابقين لهم بإحسان.

ب - العمل بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُوْنَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ (٥٢). فعلموا أن خيار اللسان العربي هو خيار الله ، وليس بعد ذلك من خيرة.

ج- متابعة الدين الحنيف بلوازمه العربية وغيرها(٥٣). تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوْنِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ (٥٤). فكان الاتباع مطلوباً في كل شيء، ومنها اللغة العربية.

د- النظر إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"(٥٥). وفي الأخذ باللسان العربي دلالة على القوة للوصول إلى المعارف الإسلامية المختلفة.

هـ - العصبية للغة العربية، والافتخار بها، باعتبارها لغة يرتبط من خلالها العبد بالله عز وجل، وذلك ما عبّر عنه الزمخشري بقوله: "الله أحمدُ أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد من صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضويَ إلى لفيف الشعوبية وأنحاز"(٥٦).

والزمخشرى عالم من علماء العجم، حيث ولد في زمخشر من قرى خوارزم،وكان إماماً في التفسير، والبلاغة، والأدب، والإعراب، والنحو والشعر، وكتبه كثيرة تدل على ذلك(٥٧) .

و- معرفتهم أن الله يخاطبهم بقوله: ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوْا آيَاتِهِ** ﴾ (٥٨). فعلموا عدم إمكانية الاستجابة لهذا الخطاب

الرباني إلا بمعرفة اللغة العربية معرفة دقيقة، حتى يتسنّ لهم التدبر الذي هو الفهم العميق لخطاب الله، إلى غير ذلك من الضوابط التي كانت عاملاً مساعداً، بل ودافعاً لأولئك للوصول إلى ما وصلوا إليه.

ثانيا: المعارف الإسلامية المختلفة التي خاضوا فيها:

تقرر لدينا آنفاً أن الأعاجم حملة العلم في الملة الإسلامية، فما هي المعارف والعلوم التي خاضوا فيها.

يقول ابن خلدون: "فلما بَعُدَ النقلُ من لدن دولة الرشيد فما بعد، احتيج إلى وضع التفاسير القرآنية،وتقييد الحديث مخافة ضياعه"... وذكر ما جدّت الحاجة إليه من العلوم والقوانين، وخلص إلى النتائج التالية: "فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده، والزجاج من بعدهما، وكلهم عجم في أنسابهم، وإنما رُبُّوا في اللسان العربي، فاكتسبوه بالمربى، ومخالطة العرب، وصيروه قوانين وفنا لمن بعدهم. وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم، أو مستعجمون باللغة والمربى، وكان علماء أصول الفقه عجماً، كما يعرف، وكذا حملة علم الكلام، وكذا أكثر المفسرين، ولم يقم بالعلم وتدوينه إلا الأعاجم. وقال: وأما العلوم العقلية فلم تظهر في الملّة إلا بعد أن تميّز حملة العلم، ومؤلفوه، واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالعجم، وتركها العرب"(٥٩).

ولم يقتصر الأمر على ما ذكره ابن خلدون فقد خاض علماء العجم في علوم أخرى كالفقه مثلاً وعلوم اللغة الأخرى من بيان، وأدب وفقه لغة وغير ذلك مما يعلم من خلال تراجم العلماء يضيق المقام عن الاسترسال معها.

ثالثا : نماذج من علماء العجم:

يقول الثعالبي: "من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ومن أحب الرسول العربي، أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها"(٦٠).

وهذه كلمات تشعر بالارتباط بالله، والحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم،والعمل على فهم كتاب الله وهذا ما كان عليه العلماء المسلمون عجما وغير عجم، والثعالبي من علماء العربية الأعاجم، يخاطب بهذا الكلام بني جنسه، ويحثّهم على الارتباط بالله ورسوله وكتابه، من خلال هذه اللغة العظيمة. وإليك نماذج محددة من العلماء الأعاجم، بياناً لبعض ما قدموه خدمة لهذا الدين باللغة التي جاء بها.

١- **سيبويه:** عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، إمام النحاة وأوّل من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز من بلاد فارس، صنف كتابه المسمى **كتاب سيبويه** في النحو، توفي عام ١٨٠هـ عن اثنين وثلاثين عاما(٦١) .

٢- **الجرجاني:** عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد أبو بكر، واضع أصول البلاغة من أهل جرجان(بين طبرستان وخراسان)، له مصنفات كثيرة، عدّ منها صاحب الأعلام تسع مصنفات، كلها في البلاغة والنحو وإعجاز القرآن، توفي عام ٤٧١هـ(٦٢) .

٣- **السرخسي**: محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر، شمس الأئمة، قاض من كبار الحنفية، مجتهد من أهل سرخس في خراسان، له كتب متعددة، أشهرها كتابه المبسوط في الفقه والتشريع ثلاثون جزءاً، أملاه وهو سجين في الجبّ في أوزجند بفرغانة. وسبب سجنه كلمة نصح بها خاقانه. توفي عام ٤٨٣هـ[٦٣].

٤- **الغزالي**: محمد بن محمد الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، ولد وتوفي في الطابران، قصبة طوس بخراسان، له مصنفات كثيرة جدا، تجاوزت مائتي مصنَّف،في شتى أنواع العلوم، توفي عام ٥٠٥هـ عن خمس وخمسين عاماً.

٥- **فخر الدين الرازي**: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبدالله، الإمام المفسر أوْحَد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، ولد في الريّ، من بلاد ما وراء النهر، وتوفي في هراة، وإن كان قرشي النسب، كان يحسن الفارسية، له مصنفات كثيرة عدَّ منها صاحب الأعلام أربعة وثلاثين كتاباً، وله شعر بالعربية والفارسية، وكان واعظاً بارعاً باللغتين[٦٥] .

٦- **عضد الدين الأيجي**: عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالغفار، أبو الفضل، عالم بالأصول والمعاني والعربية، من أهل إيج بفارس، ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظاماً، له مصنفات عدة في علم الكلام والوضع، والأصول والعربية، ذكر منها صاحب الأعلام تسعاً، مات مسجونا بقلعة كرمان عام ستة وخمسين وسبعمائة[٦٦] .

٧- **السعد التفتازاني**: مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني سعد

الدين، من أئمة العربية والبيان والمنطق، والكـــلام وغيرهـــا، ولـــد بتفتازان(من بلاد خراسان) من تلاميذ العضد الإيجـــي، لم تذكـــر التراجم أنه دخل العالم العربي في يوم من الأيام، وهو قمـــة علمـــاء العربية حتى إنه ألف كتابه شرح التصريف العزى في الصرف وعمـــره ست عشرة سنة، توفى عام ٧٩٣هـــ(٦٧) .

وخلاصة الرأي حول هذه النماذج من العلماء أن الله القائل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٦٨). يرينا أنه قادر علـــى حفظه، بأية وسيلة، ولا تعجزه الوسائل، فهيّأ له رجالاً لغتهم غير لغة القرآن، ينهجون نهج العلماء الأبرار، تدبـــرا لآيـــات الله، ومعرفـــة لدقائقها وأسرارها، وتحديداً لقوانين ألفاظها، شكلاً ومضمونا، بيانـــاً وإعجازاً. وبحفظ القرآن الكريم حفظت اللغة، إذ ثبوت الملزوم يعـــني ثبوت اللازم، والعربية لازم من لوازم حفظ القرآن الكريم، كما أنـــه يعطينا إشارة إلى أنه كما قدر أولاً على ذلك فإن قدرته لا تعجز عـــن إعادة التاريخ نفسه من أبناء الأعاجم، إذا وجدت لديهم النية الطيبة، والعزيمة الصادقة، فالأرحام هي الأرحام، والرجال هم الرجـــال، ولا تختلف إلا النوايا والعزائم، فإذا عزمت فتوكل علـــى الله، وصـــدق رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يحمل هذا العلم من كـــل خلـــف عدوله"(٦٩) .

المطلب الثاني: المنهجية التطبيقية اللغوية:

ويتضمن هذا المطلب الأمور التالية:

أولها: الألفاظ قوالب المعاني:

علمنا أن اللغة العربية قد وسعت القرآن الكريم ، بأســـاليبها

البليغة،وما تدل عليه ألفاظها،مفردة،ومركبة،إذ الألفاظ قوالب المعاني.

وباستقراء الأساليب العربية، بعباراتها ومفرداتهـــا، تقـــررت قواعد وضوابط لغوية، الهدف منها التوصل إلى فهم المعاني والأحكام، من الألفاظ، فهماً صحيحاً، وهي كما يقول الغزالي، عمـــدة علـــم الأصول(٧٠) .

فالشريعة عامة في مضامينها، والعموم في الغـــالب يقتضـــي تخصيصاً،كما أن الإطلاق يقتضي تقييداً،والقواعد تقتضي اســـتثناء، ولربما تكون الأمور المستثناة مبهمة غير واضحة، فـــهي تحتـــاج إلى إيضاح وبيان، كما أن النصوص قد يعلم المراد من عبارتها ولفظـــها، وقد يعلم من إشارتها، أو من مفهومها ودلالتها، وقد تحتاج إلى مقدر، ليتضح غرض المتكلم ويظهر صدقه.

وقد يكون النص محتملا أكثر من معنى، احتمالا على ســـبيل التساوي أو الرجحان، كما قد يخفى خفاءً يسهل بيانه، أو يحتـــاج إلى جهد أكبر لبيان المراد. إلى غير ذلك من القواعد المتكاثرة، التي تعتـــبر جانباً من الجوانب المضيئة، لاستشفاف اللغة واستخراج مكنوناتهـــا، بحيث تصلح أن تكون استراتيجية فهم للعلوم المختلفة، ســـواءً علـــم الشريعة أم غيرها.

ولا نستطيع الخوض في هذا البحر المتلاطـــم، بـــل نكتفـــي بإشارات تشير إليه عن بعد، لتكون أنموذجاً يدل على ســـعة اللغـــة العربية، سعة تفوق غيرها من اللغات، مما يستدعي معرفتها لكل مسلم يحب دينه، ويسعى لفهمه على الحقيقة. أو على الأقل يتعمق فيها من ينصب نفسه معلماً للناس الخير.

الثاني: نماذج تطبيقية تبيّن سعة اللغة العربية:

أ- الاشتراك في اللغة العربية أمر واقع ومقرر:

الاشتراك هو ما وضع لمعنيين فأكثر بأوضاع متعددة(٧١) بمعنى تزاحم المعاني المتعددة في اللفظ الواحد، بحيث يفهم المعنى وضده من الكلمة الواحدة، وهو ما يسمى عند أهل اللغة بأسماء الأضداد.

كلفظ(**قضى**) فهو مشترك بين عدة معان.

فيأتي بمعنى" أمر" كقوله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ (٧٢) .

كما يأتي بمعنى "أعلم" كقوله تعالى:﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ** ﴾ (٧٣) .

ويأتي بمعنى"حتم" كقوله تعالى:﴿ **فَيُمْسِكُ الَّتِيْ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ** ﴾ (٧٤) . أي أبرم وحتم.

فهل تستطيع أية لغة التعبير عن معاني متعددة متضادة بلفظ واحد؟ إنها اللغة العربية وحدها دون غيرها، مما يدل على سعتها، وقدرتها على استيعاب العلوم، أكثر من غيرها.

ب -- إشارة النص معين لا ينضب:

إشارة النص هي دلالة الكلام على معنى، غير مقصود للمتكلم لكنه لازم له(٧٥). وذلك يعني استشفاف المعاني من بين السطور، وما وراء الألفاظ، كنتائج لتلك الألفاظ، وإن لم يقصدها المتكلم . مثاله قوله تعالى:﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** ﴾ (٧٦). حيث دل اللفظ بعبارته على إباحة وقاع الزوجة في كل أجزاء الليل، إلى طلوع الفجر، وفهم منه بطريق

الإشارة، أن من أصبح جنبا فصيامه صحيح، لأن إباحة الوقـــاع إلى طلوع الفجر يستلزم أن يطلع عليه الفجر وهو جنب، وهذا المعنى غير مقصود بالسياق، ولكنه لازم ونتيجة له.

مثال آخر:قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَـوْلَآ أَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّـوْٓءَ وَالْفَحْشَـآءَ إِنَّـهُ مِـنْ عِبَادِنَـا الْمُخْلَصِيْنَ** ﴾ (٧٧).

هذه الآية الكريمة تتضمن إشارات واضحة، ودلالات بليغـة، نحاول توضيحها بإيجاز، وإن كان الأمر يحتاج إلى كثير من الشـرح والتوضيح. فالعبارة تفيد أن الهمّ والميل قد حصل من الطرفين، مـن امرأة العزيز، ومن يوسف عليه السلام، إلا أن الله عـز وجـل أراه برهانه، فصرف عنه السوء باعتباره من المخلصين ، ولكن هذا النـص يتضمن عدداً من الإشارات التي توضح براءة يوسف عليه السـلام، مثبتة أنه لم يحصل منه الهمُّ والميل إلى فعل السوء(٧٨) .

أولها: إن الهمَّ من امرأة العزيز لم يحصل له ما ينفيه، بل هو أمر متحقق، لكن الهمَّ من يوسف عليه السلام حصل له ما يمنعه، دلالـة على أنه لم يحصل، فوجود لولا- التي تعني باللغـة حـرف امتنـاع لوجود- يفيد امتناع الهمّ والميل من يوسف عليه السـلام، لوجـود برهان ربه، بدليل قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ**﴾.

الثانية: قوله تعالى:﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ وَالْفَحْشَـآءَ**﴾ يتضمن إشارة إلى أن السوء هو الذي يلاحق يوسف عليه السلام، و لم يكن يوسف هو الذي يبحث عن السوء أو يفكر فيه، مما يعني براءتـه عليه السلام من كل ميل إلى فعل السوء(٧٩) .

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ** ﴾ يتضمن إشارة إلى براءة يوسف عليه السلام فكلمة "المخلصين" بفتح اللام، تعني أن يوسف عليه السلام قد خلُص من حظ النفس، والشهوة وكل ما ليس لله تعالى من أمل أو عمل، فكانت حياته كلها، وفكره كله، وهمه كله لله وبالله، ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاَتِيْ وَنُسُكِيْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ** ﴾(٨٠) . فما دام يوسف عليه السلام قد خلُص لله، فكيف يمكن أن ينصرف لما ليس لله؟ إنه أمر مرفوض، فكان حقًّا كامل البراءة من كل سوء.

وكلمة"المخلَصين" هذه فيها إشارة واضحة إلى أن يوسف عليه السلام قد أعجز الشيطان من أن يغويه، برغم أنواع الإغراءات المتوفرة، إذ جاءت هذه الكلمة و لم تأت كلمة غيرها، كالمؤمنين أو المتقين أو المحسنين أو المخبتين، أو القانتين، أو غير ذلك من الألفاظ التي تحمل في طياتها قربه من الله- لتؤدي معنى، ولتثبت إعجازاً للقرآن الكريم، ولتدلّل على أن المخلَص هو وحده الذي لا يتعرض للإغواء- بخلاف غيره،ممن ذكرنا،فقد يتعرض للإغواء والإغراء- بدليل قول الله تعالى على لسان إبليس – لعنه الله- ﴿ **وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِيْنَ** ﴾(٨١) . فيوسف عليه السلام من هؤلاء المخلَصين، لذا براءته قاطعة(٨٢) .

فكانت هذه الآية بظلالها الوارفة، تؤدي معاني ودلالات قاطعة على ما تختص به اللغة العربية، من اتساع لا تستطيعه لغة أخرى، مما يوحي بعظمة هذه اللغة، وأنها وحدها الكفيلة بإعطاء الدراسات الإسلامية حقّها، من الوضوح المعرفي، والبيان الواضح،

والسعة الشمولية، التي أوضحها ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وَصْفاً للقرآن الكريم" لا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه"(٨٣) .

ج- اللغة العربية تعطي معاني للمسكوت كما تعطي المنطوق:

المتفق عليه بين علماء الأصول في موضوع مفهوم الموافقة أو دلالة النص، أن المسكوت عنه يعطى حكم المنطوق بمجرد فهم اللغة، وذلك على أنحاء ثلاثة هي:

١- التنبيه بالأعلى على الأدنى، كقوله تعالى:﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**﴾(٨٤).فمن كان أهلاً لأداء القنطار،فهو على أداء ما كان أقل من قنطار أحرص.... فنبّه بالأكثر على الأقل.

٢- التنبيه بالأدنى على الأعلى، كقوله تعالى:﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِيْنَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا**﴾(٨٥). فما دام لا يؤدي الدينار فَلأَن لا يؤدي ما هو أكثر أوْلى، فنبّه بالأقل على الأكثر.

٣- التنبيه بالمساوي على ما يساويه، كقوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُوْنَ فِيْ بُطُوْنِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيْرًا**﴾(٨٦) . فإحراق أموال اليتامى وإغراقها يساوي أكلها ظلماً، فمن كان يتلفها بالأكل فلا يتورع عن إتلافها بالإحراق.

وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على بلاغة هذه اللغة، حيث تعطي معاني جمة لألفاظ قليلة، ومعلوم أن البلاغة هي عبارة عن الإيجاز. كما تُنبِّهُ بالمنطوق على غيره،وتعطيه حكمه، حيث يدل ذلك على اتساع هذه اللغة لاستيعاب أحكام الحياة كلها، مما لا يتيسر لأيّة لغة أخرى أن تجمع ذلك،ولا أن تساهم في إثراء الدراسات الإسلامية، بل تضيق مداها، وتقلل من شأنها.

خاتمة

تقليل خطأ الفهم الاجتهادي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر"(٨٧).

النصوص القرآنية لا خطأ فيها، وكذا النصوص النبوية الصحيحة،لكن الخطأ يطرأ من جانب الفهم لهذه النصوص، فلما كان الخطأ غير مقصود من الباحث أو المجتهد، رفع الشارع عنه الإثم، بل أعطاه أجر الاجتهاد. إلا أن المطلوب تقليل خطأ الفهم الاجتهادي ما أمكن ذلك، باعتماد الرسوخ العلمي، فيما هو من متعلّقات تلك النصوص، سواء في ثبوتها من جهة السند، أم في دلالتها من جانب المعنى،وذلك ما قرره العلماء من الشروط التي يجب توافرها في المجتهد، لضبط الوصول إلى المعاني، في إطار الفهم الصحيح.

لكن سؤالاً يواجهنا، وهو هل نستطيع الوصول إلى الفهم الصحيح، وإيصال المعلومات، دون تغيير أو خطإٍ، أثناء التدريس للدراسات الإسلامية بلغة أخرى، غير اللغة العربية؟ والجواب عن ذلك له ثلاثة جوانب:

أحدها: الفهم للنص العربي فهما صحيحا على ضوء ما قرره العلماء. العالم بلغة العرب إذا أراد فهم نص بلغته، فلا يخلو الأمر من أن يصيب المراد، أو يخطئ الفهم، والحكم على الشيء فرع عن تصوره. ففي حال الخطإ في الفهم يكون التصوّر غير صحيح، فتصدر الأحكام غير صحيحة،إذ ما بني على خطأ يكون خطأ.

الثاني: الترجمة للغة أخرى. حين تتم الترجمة نعلم أنها عملية

اجتهادية أيضاً، فقد تؤدي الغرض كلمة بعينها، ولا يهتدي المترجم إليها، فيقع خطأ في الترجمة مما يترتب عليه خطأ في الفهم مرة أخرى، فيبعد الأمر عن الفهم الصحيح بعداً واضحاً.

الثالث: نقل الترجمة للدارسين. كما سبق حصول فهم للنص العربي ليس صحيحاً، وباجتهاد المترجم حصل خطأ آخر في فهم المترجم، وجاء بعد ذلك دور المدرس الذي لم يعرف الأصل العربي، فقد يأتي بفهم ثالث ورابع، أثناء العملية التدريسية، وكل ذلك خارج عن النص العربي، الذي هو الأصل، مما يبعد عن الفهم الحقيقي بعدا كثيراً، فيتسع الخرق على الراقع، ويبقى الصواب في دوامة الضياع، ويبقى الطالب أضيع، كالسير في خطين متوازيين لا يلتقيان أبداً.

فتقليلاً لخطإ الفهم الاجتهادي، ومحاصرةً للبعد عن الفهم الصحيح، نعلمُ ضرورةَ الإبقاءِ على تدريس الدراسات الإسلامية باللغة العربية، دون غيرها، من الناحية الأكاديمية، حتى يحصل التصوّر الكامل لما يراد تعلمه، وبعد الانتهاء من التحصيل العلمي بلغة العرب، عندها يستطيع العالم أن يقوم بواجب الدعوة، وتبليغ الناس من قومه دينَ الله بلسانهم فيكون متصوراً للمراد، فاَهِمًا ما يريد إيصاله للآخرين، وهذه طريقة علمائنا السابقين من الأعاجم رحمهم الله، فلقد كان الرازي واعظاً بارعاً في اللغتين العربية والفارسية(٨٨) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

هوامش

١- سورة الزمر: الآية: ٢٨.

٢- سورة ص: الآية:٢٩.

٣- ابن كثير: **فضائل القرآن**، ط، دار الأندلس، ص ١٠-١١، قال ابن كثير، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ثم قال: وهو كلام حسن صحيح.

٤- سورة الشعراء: الآيات: ١٩٢-١٩٥.

٥- خالد عبدالرحمن العك،**أصول التفسير وقواعده**،دار النفائس، بيروت، ص ٨٢.

٦- ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق محمود محمد نصار، مكتبة التراث الإسلامي، ص ٤٣.

٧- عبدالله تمين، **أهمية اللغة العربية في الدراسات الإسلامية**، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة اللغة العربية ، بالأكاديمية الإسلامية، بجامعة ملايا في نوفمبر ١٩٨٦م، وقد نشرت الورقة في مجلة الدراسات الإسلامية، كوالالمبور، عدد٢، عام ١٩٩١م انظر ص ٤٣ من المجلة المذكورة.

٨- سورة يوسف: الآية: ٢.

٩- سورة الرعد: الآية: ٣٧.

١٠- سورة النحل: الآية: ١٠٣.

١١- سورة طه: الآية: ١١٣.

١٢- سورة الشعراء:الآيات: ١٩٣-١٩٥.

١٣- سورة فصلت: الآية: ٣.

١٤- سورة الزمر: الآية: ٢٨.

١٥- سورة الزخرف: الآية: ٣.

١٦- د. صبحي الصالح،**معالم الشريعة الإسلامية**،دار العلم للملايين، ص ٨٦-٨٧.

١٧- الرازي، **التفسير الكبير**، ج١، ص ٢١٧ ط دار الفكر.

١٨- د. الصالح، **معالم الشريعة**، ص ٨٧.

١٩- الزركشي،**البرهان في علوم القرآن**، المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،ج٢ ص ١٦٥.

٢٠- خالد العك، **أصول التفسير وقواعده**، دار النفائس،ص ٨٣.

٢١- محمود محمد نصار، **مقدمة تحقيق مقدمة في أصول التفسير**، ص ١٩.

٢٢- خالد العك، **أصول التفسير وقواعده**، ص ٨٠.

٢٣- الشاطبي أبو اسحق، **الموافقات تعليق الأستاذ السيد محمد الخضر حسين التولس** ط دار الفكر، ص ٤٢.

٢٤- عبدالله تمين،**أهمية اللغة العربية للدراسات الإسلامية**/مجلة الدراسات العربية ص ٥٩.

٢٥- ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم** ، ط دار الفكر ، ص ٢٠٦.

٢٦- نفسه.

٢٧- سورة سبأ: الآية: ٢٨.

٢٨- سورة الحجرات: الآية: ١٣.

٢٩- سورة الزمر:الآية: ٢٨.

٣٠- د. الصالح، **معالم الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق ص ٩٠.

٣١- نفسه ص ٨٥، نقلا عن الدكتورة بنت الشاطئ.

٣٢- د. عارف أبو خضيري، **أهمية اللغة العربية للأمة الإسلامية** ، انظر مجلة الدراسات العربية المعهد العالي للدراسات الإسلامية بروناي دار السلام ج ٢، عدد٢، ١٩٩١م ص٤٣.

٣٣- ص ٢٩، ص ٢٩٠.

٣٤- د. عارف أبو خضيري، **مجلة الدراسات العربية** مرجع سابق ص ٤٩.

٣٥- ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ص ١٦٢.

٣٦- سورة القمر: الآية: ١٧.

٣٧- ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ص ١٦٢.

٣٨- متفق عليه.

٣٩- انظر هامش رقم ٣.

٤٠- انظر هامش رقم ٣.

٤١- سورة النحل: الآية: ٤٤.

٤٢- سورة الحشر: الآية: ٧، **وانظر الشنقيطي، أضواء البيان** ، دار الكتب العلمية، بيروت، جدة، ص ٦.

٤٣- الشاطبي، **الموافقات**، ج٣ ص ٢٠٠.

٤٤- ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ص ٢٠٣، ٢٠٦.

٤٥- نفسه ص ٢٠٧.

٤٦- نفسه ص ١٦٢، انظر هامش رقم٣٧.

٤٧- الشاطبي، **الموافقات**، ج٢ ص ٣٧.

٤٨- ابن خلدون، **المقدمة**، ط دار الفكر ص ٥٤٥.

٤٩- الزركشي، **البرهان** ، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية/ صيدا، بيروت، ج٢، ص ١٦٥.

٥٠- ابن تيمية، **إقتضاء الصراط المستقيم**، ص ٢٠٤.

٥١- ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٥٤٣.

٥٢- سورة الأحزاب:الآية: ٣٦.

٥٣- ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ص ١٦٢.

٥٤- سورة آل عمران: الآية: ٣١.

٥٥- رواه **مسلم في القدر**، باب في الأمر بالقوة وترك العجز... حديث رقم ٢٦٦٤ الكتب الستة وشرحها، دار الدعوة، ج٦، ص ٢٠٥٢.

٥٦- الدكتور صبحي الصالح، **معالم الشريعة**، ص ١١٠، نقلا عن **مقدمة كتاب المفصل** للزمخشري.

٥٧- الزركلي، **الأعلام**، ط دار العلم للملايين، ج ٧، ص ١٧٨.

٥٨- سورة ص: الآية: ٢٩.

٥٩- ابن خلدون **المقدمة**، ص ٥٤٣-٥٤٥.

٦٠- الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد، **فقه اللغة وسر العربية**، ط دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، ص ٩.

٦١- الزركلي، **الأعلام** ج ٥ ص ٨١.

٦٢- نفسه، ج ٤، ص ٤٨.

٦٣- نفسه، ج٥، ص ٣١٥.

٦٤- نفسه ج ٧، ص ٢٢.

٦٥- نفسه، ج ٦، ص ٣١٣.

٦٦- نفسه، ج ٣، ص ٢٩٥.

٦٧- نفسه ، ج ٧، ص ٢١٩.

٦٨- سورة الحجر: الآية: ٩.

٦٩- **كنز العمال** حديث رقم ٢٨٩١٨، قال الخطيب: سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، وقيل له: كأنه كلام موضوع قال: لا، هو صحيح، سمعته من غير واحد.

٧٠- الغزالي، **المستصفي**، المكتبة العلمية، بيروت، ط٢، ج١ ص ٣١٥.

٧١- د. وهبة الزحيلي، **أصول الفقه الإسلامي**، دار الفكر، ج١، ص ٢٨٣.

٧٢- سورة الإسراء: الآية: ٢٣.

٧٣- سورة الإسراء: الآية: ٤.

٧٤- سورة الزمر: الآية: ٤٢.

٧٥- د. الزحيلي، **أصول الفقه الإسلامي**، ج٢، ص ٣٥٠.

٧٦- سورة البقرة: الآية: ١٨٧.

٧٧- سورة يوسف: الآية: ٢٤.

٧٨- الرازي، **التفسير**، دار الفكر، ج ١٨، ص ١١٨.

٧٩- د. إبراهيم سعد محمود قنديل، **تعليم اللغة العربية لغير الناطقين، بها واجب ديني**، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ٢٣-٢٦ نوفمبر، جامعة بروناي دار السلام، سجل المؤتمر، ص ٦٤.

٨٠- سورة الأنعام: الآية: ١٦٢.

٨١- سورة الحجر: الآية: ٣٩-٤٠. ص: ٨٢-٨٣.

٨٢- هامش رقم ٧٩.

٨٣- هامش رقم ٣.

٨٤- سورة آل عمران: الآية: ٧٥.

٨٥- سورة آل عمران:الآية: ٧٥.

٨٦- سورة النساء : الآية: ١٠.

٨٧- **أخرجه البخاري في صحيحه**،ط دار إحياء التراث العربي، ج ٩،ص١٣٢-١٣٣.

٨٨- الزركلي، **الأعلام**، ج٦ ص ٣١٣.

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن تيمية، أحمد عبدالحليم، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ط، دار الفكر.
مقدمة في أصول التفسير، تحقيق محمود محمد نصار، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٢- ابن خلدون **مقدمة ابن خلدون**، ط، دار الفكر

٣- ابن كثير، اسماعيل أبو الفداء، **فضائل القرآن** ، ط دار الأندلس.

٤- أبو خضيري، عارف كرخي، أهمية اللغة العربية للأمة الإسلامية. مجلة الدراسات العربية، ج ٢ ، عدد٢، ١٩٩١م المعهد العالي للدراسات الإسلامية، بروناي دار السلام.

٥- البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح**، ط دار إحياء التراث العربي/ القاهرة.

٦- ثمين، عبدالله، أهمية اللغة العربية في الدراسات الإسلامية. ورقة عمل مقدمة لندوة اللغة العربية، بالأكاديمية الإسلامية بجامعة ملايا في نوفمبر ١٩٨٢م. وقد نشرت الورقة في مجلة الدراسات العربية/ كوالالمبور عدد٢، عام ١٩٩١م.

٧- الثعالبي، عبدالملك بن محمد أبو منصور، **فقه اللغة وسر العربية**، ط دار الحكمة للنشر/ دمشق.

٨- الرازي، فخر الدين بن الخطيب، **التفسير الكبير**، دار الفكر، بيروت.

٩- الزحيلي/ وهبة، **أصول الفقه الإسلامي**، ط دار الفكر.

١٠- الزركشي، محمد بن عبدالله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

١١- الزركلي، خير الدين، **الاعلام**، ط دار العلم للملايين، بيروت

١٢- الشاطبي، إبراهيم أبو إسحق، **الموافقات في أصول الشريعة**، ط دار الفكر

١٣- **الشنقيطي**، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الكتب العلمية بيروت.

١٤- الصالح، د. صبحي، **معالم الشريعة الإسلامية**، دار العلم للملايين.

١٥- العك، خالد عبدالرحمن، **أصول التفسير وقواعده**، دار النفائس، بيروت.

١٦- الغزالي، أبو حامد حجة الإسلام، **المستصفى من علم الأصول**، ط٢ المكتبة العلمية، بيروت.

١٧- قنديل، د/ إبراهيم سعد محمود، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها واجب ديني. ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها٢٣-٢٦ نوفمبر، جامعة بروناي دار السلام.

١٨- مسلم ، الإمام مسلم بن الحجاج، **الجامع الصحيح**، دار سحنون، دار الدعوة.

١٩- نصار ، محمود محمد، مقدمة تحقيق، **مقدمة في أصول التفسير**، مكتبة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة.

٢٠- الهندي، علاء الدين البرهان فوري ،**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، مؤسسة الرسالة، بيروت